الرد على شبهات واعتراضات المستشرقين على حجية السنة

(دراسة تحليلية وصفية على الأحاديث الواردة فى كتابة الحديث)

بقلم: مصباح الدين[1]

Abstract: Different interpretation of prophetic narrative on the prohibition and allowance of *hadith* writing had brought about negative perception of Orientalist that leaded to a conclusion to refuse using *hadith* as *hujjah*. Ignaz Goldziher, Hungarian Jewish, thought that most *hadith* could not be warranted, its originality (or counterfeit), therefore, they could not be information sources of the early history of Islam. According to him, *hadith* is more meant as a reflection of many currents interaction and conflict, and latter tendency in mature period, rather than a historical document of the early development of Islam. It means, to him, *hadith* is a product of Islamic community that lived several centuries after the prophet Mohammed, not originally from him. This opinion had been opposed by a number of Islamic experts, like Syaikh Musthafa as-Siba'I, and Abd al-Ghani Abd al-Khaliq.

Abstract: Interpretasi yang berbeda terhadap riwayat-riwayat tentang larangan dan pembolehan 'penulisan' Hadits-hadits Nabi telah memunculkan persepsi negative dari golongan orientalis, sehingga berakibat pada kesimpulan untuk mementahkan keabsyahan penggunaan Hadists Nabi sebagai *hujjah*. Ignaz Goldziher, orientalis yang beragama Yahudi kelahiran Hungaria, berpendapat bahwa dari sekian banyak hadits yang ada, sebagian besarnya tidak dapat dijamin keasliannya alias palsu, dan karena itu, tidak dapat dijadikan sumber informasi mengenai sejarah awal Islam. Menurut Goldziher, Hadits lebih merupakan refleksi interaksi dan konflik pelbagai aliran dan kecenderungan yang muncul kemudian di kalangan masyarakat Muslim pada periode kematangannya, ketimbang sebagai dokumen sejarah awal perkembangan Islam, Ini berarti, menurut dia, Hadits adalah produk masyarakat Islam beberapa abad setelah Nabi Muhammad SAW wafat, bukan berasal dan tidak asli dari beliau. Pendapat ini telah disanggah oleh sejumlah ilmuwan seperti Syaikh Musthafa as-Sibaʿi, dan ʿAbd al-Ghani ʿAbd al-Kaliq.

التفسيرات المختلفة عن النهى والإباحة فى كتابة الحديث دفعت على رأى خطأ من المستشرقين الذين يرفضون حجية السنة. قال المستشرق الهنغارى : إجناتس جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) أن كثيرا من الأحاديث لا اصل لها اى الموضوعة. وذهب إجناس الى عدم استخدام الحديث مصدرا للمعلومات عن التاريخ الاسلامى المبكر.وليس الحديث الا هوظاهرة للتفاعل والصراع بين المذاهب الفكرية والدينية فى الاسلام والاتجاهات التي ظهرت في العصرالتدوين ، وليس

---

[1] المحاضر بالجامعة الإسلامية الحكومية بيكالونجان، STAIN Pekalongan

الحديث معلومات وثيقة للتاريخ الاسلام المبكر. وهذا يعني أنه هو منتج المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبى ص.م. ببضعة قرون. وبقول الآخرانه لا يأتي من النبي. وقد رفض هذا الرأى بعض العلماء منهم الشيخ مصطفى السباعى وعبد الغنى عبد الخالق

Kata kunci: Hadits, Orientalist, accusation

المقدمة

لقد تعارضت السنة فى القديم لهجمات واعتراضات بعض المسلمين الخارجين على سنن الحق لشبهات طارئة لم تجد فى نفوس أتباعها ما يدفعها، كما تعارضت فى العصر الحاضر لهجمات بعض المستشرقين المتعصبين من دعاة الإستعمار، إبتغاء الفتنة و ابتغاء هدم الركن من أركان التشريع الإسلامى. كما أنّ ما يتعلق بجمع الأحاديث وكتابتها وتدوينها لم تسلم من تلك الهجمات والإعتراضات. ونعتقد أن كل ما فعله المستشرقون هذه عموما لا لأجل الحصول على الحقيقة بل يريدون أن يبوّزوا أفكار وإيمان أجيال المسلمين. حتى نرى فى زماننا الآن كثير من المسلمين الذين يتفقون ويتبعون أفكار المستشرقين ثم بعد ذلك يهاجمون الإسلام وهو دينهم بأهوائهم وأذهانهم القصيرة. ومن أهم هؤلاء الطاعنين في السنة المستشرقان اليهوديان: إجناتس جولدتسيهر وجوزيف شاخت. ويتناول هذا البحث نقد آراء هذين المستشرقين والرد عليهما فيما يتعلق بنقل السنة النبوية الشريفة.

تعرض الحديث النبوي الشريف لحملة طعونات وتشكيكات من المستشرقين. وتختلف وجهة نظرهم عن نظرة المسلمين للحديث. فالمستشرقون يرون أن معظم الأحاديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم هي في الحقيقة ليست أقوالا له، ولكن بعض تلك الأحاديث

تنقل لنا أفكاره وتقريراته. وتعتمد حجج المستشرقين ونتائجهم حول نظرتهم إلى الحديث النبوي الشريف على النتائج التي وضعها المستشرق إجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠ – ١٩٢١) في كتابه: دراسات محمدية، ***Muhammedanisch Studien*** عام ١٨٨٩. وكل من أتى بعد جولدتسيهر اعتمد على آرائه التي ذكرها في هذا الكتاب. ويرى جولدتسيهر:«إنه من الصعوبة بمكان أن ننخل أو نميز وبثقة من كمية الحديث الكبيرة الواسعة، قسما صحيحا يمكننا نسبته إلى النبي أو إلى أصحابه». **(Fazlurrahman, 1966: 44).** وتوصل جولدتسيهر إلى النتيجة التالية: "إن الحديث النبوي وجد نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي الإسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة. **(Goldziher, 1971:19)**

وقد لخص جوزيف شاخت رأي جولدتسيهر بقوله: « إن الأحاديث المنسوبة للنبي وأصحابه التي يدعى بأنها ترجع إلى عصر النبي وأصحابه في الحقيقة لا تحتوي على معلومات موثوق بها (صحيحة) عن تلك الفترة الإسلامية الأولى، بيد أن تلك الأحاديث تعكس لنا الآراء التي كانت خلال القرنين الأولين من الهجرة والنصف الأول من القرن الثالث الهجري ». ولكن جولدتسيهر قدم لنا وجهة نظر أخرى في مقالته: Vorlesungen Uber den Islam عام ١٩١٠م، وقد أعطانا البروفسور ج. روبسون ملخصا لها حيث يقول:«لا ينكر جولدتسيهر بالكلية وجود أحاديث صحيحة ترجع إلى القرن الأول بل حتى إلى فم النبي نفسه». **(J.Robson, tt: 95)**

ويُعد هذا الرأي من جولدتسيهر تراجعا عما ذكره سابقا في كتابه: (دراسات

محمدية) حيث شكك هناك في أي حديث صحيح، ولكنه هنا قبل بعض الأحاديث الصحيحة. ولهذا السبب يمكن للمرء أن يتساءل: لماذا غيّر جولدتسيهر موقفه من الحديث؟، فهل وجد أدلة جديدة تؤكد له صحة بعض الأحاديث؟ وإذا كان الحال كذلك فما تلك الأدلة؟ ولماذا لم يعد بقية الأحاديث صحيحة كتلك التي عدَّها صحيحة؟. كل هذه الأسئلة تبرز بسبب تغييره لموقفه، ونجد من الصعوبة أن نجد أجوبة عن كل هذه الأسئلة.

آراء المستغربين من المسلمين المعاصرين الذين يؤيدون وجهة نظر المستشرقين

انتقد بعض المستغربين من المسلمين المعاصرين ما ذهب إليه المحدثون في طريقة معرفة صحة الحديث. ويقول هؤلاء المستغربون إن صحة أي حديث يجب أن تبنى أولا على صحة متنه وليس على صحة إسناده (**مكي الشامي، ١٩٩٩: ١٠٣–١٠٥**)، وإن السؤال الذي يجب أن يطرح على كل حديث هو: هل يمكن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول مثل هذا الكلام أو لا؟. والسبب في طرح هذا السؤال دائما هو زعمهم بأنه يوجد في كتب الحديث المعتمدة كالكتب الستة بعض الأحاديث المخالفة للعقل والعلم، ويستحيل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد قالها. وآراء هؤلاء المستغربين ليست جديدة، بل هي تكرار لما قاله المستشرقون بل لما قالته بعض الفرق الإسلامية أيام الإمام الشافعي، بل وقبله. (**ابن قتيبة، ١٩٧٢: ٤٢، ٣٢٦**). ويعد محمد عبده (١٨٤٠ – ١٩٠٥م) أول عالم مسلم معاصر توجه بنقده لبعض الأحاديث المقبولة والصحيحة عند العلماء المسلمين. (**-15**

18:**Juynboll,١٩٦٩**)، وتابع محمد عبده تلامذته الذين وسعوا أفكاره وفصلوها، ويمكن تلخيص آرائهم كما يلي:

١- زعمهم أن الحديث النبوي كتب في وقت متأخر أي خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري. ولذلك فلا يمكننا الاعتماد على صحة الحديث لوجود احتمالات وقوع الخطأ من الرواة ومن مدوني الحديث.

٢- لقد وضعت أحاديث كثيرة واختلطت بالأحاديث الصحيحة مما يجعل عملية الفصل بينها صعبة جدا.

٣- لقد روى الصحابة والتابعون معاني الأحاديث وليس الأحاديث بعينها، ولهذا لم يحتج النحاة بالأحاديث المروية في النحو. والاختلاف في الروايات بين رواة الحديث دليل على أنهم كانوا ينقلون المعنى.(أبو رية، ١٩٨٤: ١٥٠-١٥٢)

٤- لا يمكننا الاعتماد على علم الجرح والتعديل لأنه علم متناقض، إذ يقدم علماء هذا العلم معلومات متناقضة عن الرواة.(أبو رية، ١٩٨٤: ١٥٠-١٥٢)

٥- بما أن معظم الأحاديث النبوية رويت عن طريق الآحاد فإن احتمال وقوع الخطأ منهم كبير، إذ إنهم بشر. وتنطبق هذه القاعدة أيضا على الأحاديث الآحاد المروية في كل من صحيحي البخاري ومسلم. والفقهاء والمحدثون لديهم الحرية في اختيار الأحاديث التي يرونها مناسبة لمذاهبهم.

تعريف الجمع والكتابة والتدوين والتصنيف والعلاقة بينهم

١. **الكتابة:** قال فى اللسان :" كتب الشيء كتباً، وكتاباً، وكتابةً، وكتبه خطه"، فكتابة الشيء خطه. (**ابن منظور، د.ت: ٦٩٨**)

٢. **التدوين:** من اصل دوّن يدوِّن تدويناً، قال فى اللسان: "و الديوان مجتمع الصحف، لأَن الياء في ديوان غير لازمة وإنما هو فِعّال من دَوَّنَ" (**ابن منظور، د.ت: ١٦٤**). وقال فى تاج العروس: " قد دونه تدويناً جمعه عليه فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة فى ديوان ليحفظها". (**محمد مرتضى الزبيدي، د.ت: ٢٠٤**)

٣. **الجمع:** من أصل جمع يجمع جمعاً، قال فى تاج العروس: "الجَمْعُ كالمَنْعِ : تَأْلِيفُ المُتَفَرِّقِ. وفِي المُفْرَدَاتِ للرّاغِب – وتَبِعَهُ المُصَنِّفُ في البَصَائر – : الجَمْعُ : ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض. يقال: جمعته فاجتمع" (**محمد مرتضى الزبيدي، د.ت: ٢٢٦**)، قال فى اللسان: "الجمع جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً وجمّعه و أجمعه فاجتمع، والمجموع الذى جُمع من ههنا وههنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد". (**ابن منظور، د.ت: ٥٣**)

٤. **التصنف:** قال فى اللسان: "تمييز الأشياء بعضها من بعض، صنف الشيء ميز بعضه من بعض. وتصنيف الشيء جعله أصنافاً. وعليه فالتصنيف تمييز الجزئيات، كأن يميز المصنف الصواب من الخطأ، أو الأهم من المهم". (**ابن منظور، د.ت: ١٩٨**)

ومن هذه التعريفات السابقة يتضح لنا أن الكتابة غير التدوين، فالكتابة مطلق خط الشيء دون مراعات لجمع الصحف المكتوبة فى إطار يجمعها، أما التدوين فمرحلة التالية للكتابة ويكون بجمع الصحف المكتوبة فى ديوان يحفظها، فلذلك أن ما فهمه المعاصرون من أنّ التدوين هو الكتابة، فهو خطأ منشأه عدم التمييز بين الكتابة والتدوين. (**عبد المهدى عبد القادر، د.ت: ٩٧**)

وعلى ذلك فقول الأئمة إن السنة دوّنت فى نهاية القرن الأول لا يفيد أنها لم تكتب طيلة هذا القرن، بل يفيد أنها كانت مكتوبة لكنها لم تصل لدرجة التدوين وهو جمع الصحف فى دفتر (**عماد السيد الشربينى، ٢٠٠٢: ٣٥١**). فالجمع إذا فى إطار مرحلة التدوين.

أما التصنيف فهو أدق من التدوين، فهو ترتيب ما دوّن فى فصول محدودة، وأبواب مميزة (**محمد إمتياز، ١٩٩٠، ٢٨٣**). فيجب على من يجد نفسه المقدرة على التصنيف فى الحديث أن يقوم بالتصنيف وذلك لجمع المتفرقة، و توضيح المشكل، وترتيب غير المرتب، وفهرسة غير المفهرس مما يسهل على طلبة الحديث والإستفادة منه بأيسر طريق وأقرب وقت وغير ذلك من لوازم التصنيف. هذا وقد صنف العلماء الحديث على أشكال متنوعة، فمن أشهر أنواع التصنيف فى الحديث هى الجوامع، والمسانيد، والسنن، والمعاجم، والعلل، والأجزاء، والأطراف، والمستدركات، و المستخرجات. (**محمود الطيحان، ٢٠٠٠: ١٦٨**)

وبالتالى فالمقولة "أول من دوّن العلم ابن شهاب الزهرى" تم ترجمتها خطأ بمعنى: أول من كتب العلم (الحديث) كان ابن شهاب الزهرى، وانطلاقاً من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية أن كتابة الحديث بدأت متأخرة للغاية حتى عصر الزهرى فى نهاية القرن الأول، أو بداية القرن الثانى الهجرى. ولهذا فالمقولة السابقة يجب تفسيرها على أساس أن أول من دوّن أو صنف المجموعات المكتوبة من الأحاديث كان ابن شهاب الزهرى. (**السيد محمد نوح، د.ت: ١٠٨**)

نشأة تدوين الحديث مع ذكر الروايات الدالة على نهى كتابته ثم إذنه

ونظراً لما رأينا من المكانة السامية للسنة، والأهمية البالغة لها فى الدين، فقد حظيت بعناية الصحابة رضوان الله عليهم واهتمامهم البالغ بها بعد اهتمامهم بالقرآن الكريم، فتلقوها وحفظوها ووعوها وعملوا بها، وحرصوا عليها حرصهم على القرآن، غير أنهم لم يدوّنوها كما دوّنوا القرآن. وقد استمروا على ذلك طيلة حياة النبى صلى الله عليه وسلم، فلم يكتبوها إمتثالاً لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كتابة غير القرآن، وذلك خشية إختلاطه به والتباسه فيه، ما عدا من أذن لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما أرادوا كتابته منها. (**حارث سليمان الضارى، ٢٠٠٠: ٨**)

و أما بعض الروايات الدالة على نهى كتابة الحديث منها:

١. حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه، وحدثوا عنى ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (أخرجه مسلم بشرح النووى كتاب الزهد والرقائق باب التثبت فى الحديث وحكم كتابة العلم ٣٥٦/٩ رقم ٣٠٠٤)، وفى رواية عنه قال: "استأذنا النبى صلى الله عليه وسلم فى الكتابة فلم يأذن لنا. (أخرجه الترمذى كتاب العلم باب ما جاء فى كراهية كتابة العلم ٣٧/٥ رقم ٢٦٦٥. قال أبو عيسى: وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه أيضاً عن زيد بن أسلم وأخرجه الدارمى فى سننه باب من لم ير كتابة الحديث ١٣١/١ رقم ٤٥١)

٢. حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا قعوداً نكتب ما نستمع من النبى صلى الله عليه وسلم، فخرج علينا فقال: ما هذا تكتبون؟ فقلنا: ما نسمع منك، فقال: أكتاب مع كتاب الله؟ فقلنا: ما نسمع. فقال: اكتبوا كتاب الله امحضوا كتاب الله، أكتاب غير كتاب الله، امحضوا كتاب الله أو خلصوه، قال: فجمعنا ما كتبنا فى صعيد واحد، ثم احرقناه بالنار. قلنا: أى رسول الله أنتحدث عنك؟ قال: نعم. تحدثوا عنى ولا حرج، ومن كذب على متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار قال فقلنا: يارسول الله أنتحدث عن بنى إسرائيل؟ قال: نعم تحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، فإنكم لا تحدثون عنهم بشىء إلاّ وقد كان فيهم أعجب منه. (أخرجه أحمد فى المسند ١٢/٣-١٣، والخطيب فى تقييد العلم ص ٣٤، وفيه عبد الرحمن بن أسلم، متفق على ضعفه)

٣. ذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى النهى عن كتابة الحديث النبوى: عن عروة بن الزبير: أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله عز وجل فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: "إنى كنت أردت أن أكتب السنن وإنى ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فاكتبوا عليها، وتركوا كتاب الله تعالى، وإنى والله لا ألبس كتاب الله بشيءٍ أبداً. (أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٦٤/١، والخطيب فى تقييد العلم ص ٤٩)

٤. عن أبى سعيد الخدرى: "إستأذنت النبى صلى الله عليه وسلم أن يأذن لى أن اكتب الحديث فلم يأذن لى". (أخرجه الترمذى فى السنن كتاب العلم باب ما جاء فى كراهية كتابة العلم ٣٨/٥، والدارمى فى السنن باب من لم ير كتابة الحديث ١١٩/١)

أما بعض الروايات الدالة على إذن كتابة الحديث فيما يلى:

١. عن عبدالله بن عمرو قال: "كنت أكتب كل شيءٍ أسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال: "اكتب، فو الذى نفسى بيده ما يخرج منه إلاّ الحق". (أخرجه أبو داوود فى السنن كتاب العلم باب فى كتابة العلم ٢٨٦/٢، والدارمى فى السنن المقدمة باب من رخص فى كتابة العلم ١٢٥/١، وأحمد فى المسند

١٩٢،١٦٢/٢، والحاكم فى المستدرك ١٠٥/١ وقال: هذا حديث حسن صحيح الاسناد اصل فى نسخ الحديث –يعنى الكتابة– عن رسول الله وأقره الذهبى، والخطيب فى تقييده العلم ص ٨٠، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٨٥/١، والقاضى عياض فى الإلماع ص ١٤٦ من طريق أبى دادد وابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ص ٢٨٦)

٢. عن أبى هريرة أن خزاعة قتلوا رجلاً من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب فقال: "إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل –شك أبو عبد الله– وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ألا وانها لم تحل لأحد قبلى ولم تحل لأحد بعدى، ألا وانها حلت لى ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتى هذه، حرام، لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد فمن قتل فهو بخير النظرين إما أن يعقل وإما ان يقاد أهل القتيل. فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لى يا رسول الله فقال: "اكتبوا لأبى شاه". (أخرجه البخارى فى الصحيح كتاب العلم باب كتابة العلم ٣٨/١، كتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ١٦٤/٣، كتاب الديات باب من قتل قتيلا فهو يخير النظرن ٦/٩، ومسلم فى الصحيح كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ١٨٨/٢، وأبو داود فى السنن كتاب المناسك تحريم حرم مكة ٤٦٥/١، كتاب الديات باب ولى العمد يرضى بالدية ٤٨٠/٢، والترمذى فى السنن كتاب العلم باب ما جاء فى الرخصة ٣٩/٥، وقال هذا حديث حسن صحيح،

والدارمى فى السنن كتاب البيع باب فى النهى عن لقطة الحج ٢/٢٦٥، وأحمد فى المسند ٣/٢٣٨)

فمنع الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة من الكتابة عنه لم يكن منعاً لغيره، ولم يكن لتحريم الكتابة، وإنما كان صيانة للقرآن من أن يلتبس بغيره فى أذهانهم، ولهذا كان النهي خاصاً بأناس دون أناس. (**يحيى إسماعيل، ١٩٩٢: ٣٩**)، وقد اختلف العلماء فى التوفيق بين احاديث النهى عن الكتابة والإذن بها. فالأكثرون على أن النهى منسوخ بالإذن، ومن قائل بأن النهى خاص بمن لا يؤمن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة، أما الإذن فهو خاص بمن أُمِنَ عليه ذلك. (**مصطفى السباعى، ١٩٩٨: ٧٨**)

واعتقد الباحث انه لم يكن هناك تعارض حقيقى بين أحاديث الدالة على النهى والدالة على الإذن، إذا فهمنا النهى على أنه نهى عن التدوين بشكل رسمى كتدوين القرآن، و أذن ذلك لأسباب وظروف خاصة. وهكذا لم يكن هناك تدوين السنة قام به الصحابة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه الحقيقى. ولم يكن مدوّنا فى عهد عمر بن الخطاب، لأن التدوين منهى عنه، بل لعلة أساسية هى: إبعاد الأمة الإسلامية عن الخطأ الأثيم الذى ارتكبه اهل الكتاب من قبل بتبديل كتاب الله التوراة، و الإنجيل بوصايا الرسول جعلوها هى الكتب المنزّلة. كذلك حفاظاً على كتاب الله عزّ وجلّ والتمكّن له أولاً فى قلوب المؤمنين كما مرّ فى وصيته لقريظة بن كعب رضى الله عنه هو متجه الى الكوفة. (**عماد السيد الشربينى،٢٠٠٢: ٣٥٥**)

موقف عمر بن عبد العزيز و الزهرى و ابن حزم فى تدوين الحديث

وقد استمر اعتماد المسلمين فى نقل الأحاديث على الحفظ والرواية إلى عهد كبار التابعين، الذين ساروا على ما سار عليه الصحابة من عدم تدوينها والإكتفاء بحفظها وروايتها شفاهاً. وبعد ذلك العهد كان الإسلم قد إزداد انتشاراً، و دخل فيه الكثير ممن لا يجيدون اللغة العربية، وتفرق رواة السنة وحفاظها فى البلاد المفتوحة، وأسرع الموت إلى كثير منهم، مع وجود بعض الفتن، وظهور الوضع، وشيوع الإبتداء، وكلال الأفهام، فأصبحت الحاجة ماسة لجمعها وتدوينها تدويناً عاماً شاملاً، حفظها من الضياع، ويصونها من العبث و التزيُّد والإختلاق.

وكان ممن أدركوا تلك الحاجة هو عمر بن عبد العزيز، الذى ولى الخلافة سنة ٩٩ للهجرة و توفى سنة ١٠١ للهجرة. (**حارث سليمان الضارى، ٢٠٠٠: ٩**)، وكان معروفاً بغيرته على الإسلام وتعاليمه وحرص الشديد على رعاية كتاب الله تعالى. إذ أرسل إلى أبى بكر بن محمد بن حزم عامله وقاضيه على المدينة وأمره وطلب منه أن يكتب له السنة ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية المتوفى سنة ٩٨ للهجرة والقاسم بن محمد بن أبى بكر المتوفى سنة ١٠٦ للهجرة. (**مصطفى السباعى، ١٩٩٨: ١٢٣**)

مما جاء فى كتابه قوله: ((انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم، ولتفشو العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً)). (أخرجه البخارى فى كتاب العلم باب ما يقبض العلم ١/١٩٤)، وفى رواية: ((انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب اهله)). (أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة باب من رخص فى كتابة العلم ١/١٠٤ رقم ٤٨٨)

ولم يكن هذ العمل الجليل يختص بابن حزم، بل أرسل إلى ولاة الأمصار كلها وكبار علماءها يطلب منهم مثل هذا، فقد أخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق: ((انظروا إلى حديث رسول الله فاجمعوه)). وبذلك نفذ عمر رغبة جدّه عمر بن الخطّاب التى جاشت فى نفسه مدّة ثم عدل عنها خوفاً من أن تلتبس بالقرآن أو يصرف الناس إليها. والذى يظهر أن ابا بكر بن حزم كتب لعمر شيئاً من السنة فقد أنفذ إليه ما عند عمر والقاسم، ولكنه لم يدوّن كل مافى المدينة من سنة وأثر. (**مصطفى السباعى، ١٩٩٨: ١٢٣**)

وكان من بين من كتب إليهم عمر بن عبد العزيز الإمام محمد بن مسلم ابن شهاب الزهرى (هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشى الزهرى, ولد سنة ٥١ للهجرة على الأرجح. كان أبوه مسلم بن عبيد الله ممن اشترك مع عبد الله بن الزبير فى حروبه ضد الأمويين، ولما توفى أبوه ترك الزهرى شاباً حدثاً لا مال له ولا متاع، فنشأ يتيماً فقيراً لا مربى له يعنى بشأنه غير أخ أكبر منه لم يرو التاريخ عنه شيئاً يذكر) المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة، الذى كان موضع ثقة عمر بن عبد

العزيز ومحل تقدير، لما كان بينهما من علائق المودة والزمالة العلمية، فقام ابن شهاب من فوره بما كلف به وجمع السنن فى دفاتر، وبعث بها إلى عمر بن عبد العزيز، ووزعها عمر بدوره إلى الأمصار الإسلامية. وكان ابن شهاب فيما يظهر أول من أرسل ما جمعه من السنة إلى عمر بن عبد العزيز، لذلك اعتبر أوّل من دوّن السنة بأمر عمر بن عبد العزيز. (**حارث سليمان الضارى، ٢٠٠٠: ٩**)

ثم شاع تدوين السنة النبوية فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى. وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج، وابن إسحاق، وبالمدينة سعيد بن أبى عروبة، والربيع بن صبيح، والإمام مالك، وبالبصرة حماد بن سلمة، وبالكوفة سفيان الثورى، وبالشام أبو عمرو الأوزعى، وبواسط هشيم، وبخرسان عبد الله بن المبارك، وباليمن مَعْمَر (١٤٥ هـ)، وبالري جرير بن عبد الحميد، وكذلك فعل سفيان بن عيينة، والليث بن سعد، وشعبة بن الحجاج. وكان صنيعهم فى التدوين أن يجمعوا حديث رسول الله مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين مع ضم الأبواب بعضها إلى بعض فى كتاب واحد. (**مصطفى السباعى،١٩٩٨: ١٢٤**)

شبهات واعتراضات المستشرقين على تدوين الحديث وموقف العلماء فيه

أن من هذه الشبهات كان المستشرقون زعموا وذيولهم من أعداء السنة، أن السنة لو كانت حجة لأمر النبى صلى الله عليه وسلم بكتابتها، ولعمل الصحابة والتابعون رضوان

الله عليهم أجمعين من بعده على جمعها وتدوينها، حتى يحصل القطع بثبوتها بكتابتها كما هو الشأن فى القرآن الكريم، و لكنّ الثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابتها، وأمر بمحو ما كانت منها، وكذلك فعل الصحابة والتابعون، ولم يقتصر الأمر منهم على ذلك، بل امتنع بعضهم عن التحديث، أو قلل منه، ونهى الآخرون عن الإكثار منه. (**عماد السيد الشربينى، ٢٠٠٢: ٢٦٦**)

وزعم المستشرقون فى مقدمهم ((جولدتسيهر)) ذهب إلى أن الأحاديث الواردة فى النهى عن كتابة السنة، والأحاديث الأخرى التى تحث على كتابتها، ما هى إلاّ أثر من آثار تسابق أهل الحديث فى جانب وأهل الرأى فى جانب آخر، إلى وضع الأقوال المؤيدة لنزعيتهم المتناقضتين. فأهل الحديث يذهبون إلى كتابة السنة، لتكون دليلاً على صحتها والاحتجاج بها. وهم يذهبون كذلك بعدم صحة النهى عن كتابة الحديث فى أول الأمر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، بناءً على رأيهم بأن السنة النبوية وضعت على النبى صلى الله عليه وسلم ونسبت إليه، وهى إلاّ نتيجة للتطور الدّينى، والسياسى، والاجتماعى للمسلمين. (**عماد السيد الشربينى، ٢٠٠٢: ٢٦٧**)

وفى هذا يقول الدكتور يوسف العش رداً على جولدتسيهر: ((إنه لم يصب حين قال: إن من إدعى عدم جواز الكتابة هم من أهل الرأى، وأن مخالفيهم هم من أهل الحديث، فالخلاف لم يكن بين هاتين الفئتين، لأن من أهل الرأى من امتنع عن الكتابة كعيسى بن يونس (١٨٧ هـ)، وحماد بن يزيد (١٧٩ هـ)، وعبد الله بن إدريس، وسفيان

الثورى، وبينهم من أقرها كحماد بن سلمة، والليث بن سعد، وزائدة بن قدامة، ويحي بن اليمان (١٨٩ هـ) و غيرهم. ومن المحدثين من كره الكتابة كابن عليه (٢٠٠ هـ)، وهشيم ين بشير، وعاصم بن ضمرة (١٧٤ هـ)، وغيرهم، ومنهم من أجازها كبقية الكلاعى، وعكرمة بن عمار (١٥٩ هـ)، ومالك بن أنس وغيرهم. (**يوسف العش، د.ت: ٢١,٢٢**)

والجواب عن زعمهم بأن النهى عن كتابة السنة يدل على عدم حجيتها، يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق –رحمه الله– : ((وكيف يكون نهيه صلى الله عليه وسلم دليلاً على عدم الحجية والنبى صلى الله عليه وسلم عقب هذا لنهى مباشرة عندما أمر الصحابة بالتحديث عنه، وفى الوقت نفسه يتوعد من يكذب عليه متعمداً أشد الوعيد، كما فى حديث أبى سعيد الخدرى الذى رواه مسلم)).

ويقول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع: "ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه" (أخرجه البخارى بشرح فتح البارى فى كتاب التوحيد باب قال الله تعالى :((وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)) ٤٣٣/١٣ رقم ٧٤٤٧، ومسلم بشرح النووى كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض ١٨٢/٦ رقم ١٦٧٩ واللفظ له من حديث أبى بكر رضى الله عنه)، ويقول أيضاً: "نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه". (أخرجه أبو داود فى سننه كتاب العلم، باب فضل نشر العلم ٣٢٢/٣ رقم ٣٦٦٠ واللفظ له، وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب العلم، باب ما جاء فى الحث على تبليغ

السماع ٣٣/٥ رقم ٢٦٥٦، وقال أبو عيسى: وفى الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبى الدرداء وأنس ثم قال: حديث زيد بن ثابت حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه فى سننه المقدمة، باب من بلغ علماً ٨٤/١ رقم ٢٣٠). ويقول صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس –بعد أن أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: "احفظوه و أخبروا به من وراءكم". (أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان ١٥٧/١ رقم ٥٣، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين ٢١٢/١ رقم ١٧، واللفظ له، من حديث بن عباس رضى الله عنه)

ويقول النبى: "ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكة، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله". (أخرجه الترمذى فى سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبى صلى الله عليه وسلم ٣٧/٥ رقم ٢٦٦٤، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجه فى سننه المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه ٢٠/١ رقم ١٢ من حديث المقدم بن معد يكرب)

يقول الدكتورعبد الغنى عبد الخالق: ((أليس الأمر بالتحديث والتبليغ والحفظ، والإبعاد على الكذب عليه أشد الوعيد، والنهى عن عدم الأخذ بالسنة، دليلاً على أن السنة لها شأن خطير، وفائدة جليلة للسامع والمبلغ؟ فما هذه الفائدة وما هذا الشأن العظيم؟ أليس

هو أنها حجة فى الدين، وبيان للأحكام الشرعية. كما يدل عليه تعقيبه صلى الله عليه وسلم الأمر بالتبليغ والتحديث —فى الروايات السابقة– بقوله صلى الله عليه وسلم: ((فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)) ((احفظوه وأخبروا به من وراءكم)) وقوله صلى الله عليه وسلم ((إلا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله)) وقوله صلى الله عليه وسلم ((وحدثوا عنى ولا حرج))، ألا يشعرك هذا القول أن القصد من تبليغ السامع الحديث لمن بعده، أن يأخذ الغائب ما اشتمل عليه الحديث من فقه وحكم شرعى؟ وهل يصح أن يذهب من عنده ذرة من عقل وإيمان إلى أن أمره صلى الله عليه وسلم بالتحديث والتبليغ إنما كان لمجرد التسلية والمسامرة فى المجالس كما يفعل بتواريخ الملوك والأمراء؟ كلا: فإن النبى صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم وأشد عصمه من أن يأمر أمته بما لا فائدة فيه، وبما هو مدعاة لِلَهْوِهِم وعبثهم. (**عبد الغنى عبد الخالق، ١٩٩٧: ٣**)

النتيجة والخاتمة

وفي نهاية المطاف أَلخِّص أهم ما وصلت إليه هذا البحث من نتائج، وهي من خلال هذا البحث نستفيد أن السنة النبوية ضرورية دينية، وأن كثيرا من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها أهل الحديث والفقهاء على حجيتها. فمن خلال هذا البحث نستطيع أن نستنتج شئاً بأن لو لا السنة النبوية الموجودة

الآن بين أيدينا التى تم تدوينها علماء المسلمين لضاعت هذه الثروة العظيمة منذ الزمان الماضى. فعلينا كجيل المسلمين ألاّ نتفق ونتبع أعداء الإسلام فى الاتهامات والشبهات والاعتراضات الواردة حول السنة النبوية من المستشرقين.

مهما استخدام أدوات التحليل التاريخية أو الاجتماعية أو بل السياسية قد يساعدنا كثيرا فى فقه الأحاديث ليست لها أسباب الورود، لكن علينا الوعيَ بأن هذه الأدوات لا تضمُن صحة فهم المعنى المراد به الحديث مائة فى المائة. لأننا لا نستطيع تأكُّدَ صحة الوثائق التاريخية الموجودة بين لدينا ضبطيا. فالمؤرخون قد يُدخِلون التواريخ الزائفة فى وثائقهم، بخلاف الأخبار التى تضمنها الحديث، فإنها سالمة لوجود السند المتصِل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك لئلا نُجبِرَ المعنى المعين الصادر عن تحليل هذه الوثائق دون الاعتبار فى الدلالة الواضحة من نص الحديث نفسه. وإن علينا أن نجعل الحديث روحا ومصدرا بعد القرآن لتقدم الحضارة الإسلامية خاصةً والإنسانية عامةً تطبيقا لما إعتقدنا أن الإسلام صالح لكل آن ومكان. والحمد لله رب العالمين. والله أعلم بالصواب.

المراجع

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، ***لسان العرب***، بيروت: دار صادر، دت

إسماعيل، يحيى، ***مع الحديث و أهله نقله و نقده, دراسة فى تاريخ السنة***، القاهرة: مطبعة الفجر الجديد ١٩٩٢

إمتياز، محمد، ***دلائل التوثيق المبكر للسنة و الحديث***، المنصورة: دار الوفاء، ١٩٩٠
الحاكم، أبو عبد الله، ***المستدرك على الصحيحين***، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠
حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، بيروت: المكتب الإسلامى, ١٩٨٣
الدارمى، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، ***سنن الدارمى***، القاهرة: دار الريان، ١٩٨٧
الزبيدى، محمد مرتضى، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت
السباعى، مصطفى، ***السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى***، بيروت: دار الوراق، ١٩٩٨
السجستانى، أبو داود سليمان بن الأشعث، ***سنن أبى دود***، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت
سورة، أبو عيسى محمد بن عيسى، ***سنن الترمذى***، القاهرة: دار الحديث، ١٣٨٥ هـ
الشربينى، عماد السيد، ***السنة النبوية فى كتابات أعداء الإسلام، مناقشتها و الرد عليها***، القاهرة: دار اليقين، ٢٠٠٢
الضارى، حارث سليمان، ***محاضرات فى علوم الحديث***، د.م: دار النفائس، ٢٠٠٠
الطيحان، محمود، ***تيسير مصطلاح الحديث***، فونوروكو: دار السلاو للطباعة والنشر، ٢٠٠٠
عبد البر، ابن عمر يوسف بن عبد الله، ***جامع بيان العلم و فضله***، د.م: الطبعة المنيرية، ١٩٧٨
....., ***الإستيعاب في معرفة الأصحاب***، موقع الوراق
عبد الخالق، عبد الغنى، ***حجية السنة***، المنصورة: دار الوفاء، ١٩٩٧
عبد القادر، عبد المهدى، ***السنة النبوية، مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها***، القاهرة: دار الإعتصام، د.ت
العسقلاني، ابن حجر، ***فتح البارى بشرح صحيح البخارى***، القاهرة: دار الريان، ١٩٨٦
على، أبو بكر أحمد، الشهير بالخطيب البغدادى، ***تقييد العلم***، دمشق: دار إحياء السنة النبوية، ١٩٧٤
القزوينى، أبو عبد الله بن محمد بن يزيد، ***سنن ابن ماجة***، القاهرة: دار الحديث، ١٩٥٤

نوح، السيد محمد، ***شفاء الصدور فى تاريخ السنة و مناهج المحدثين***، المنصورة: دارالفاء، د.ت

النووى، أبو زكريا يحيى بن شرف، ***المنهاج شرح مسلم***، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٤

اليحصبى، أبو الفضل عياض بن موسى، ***الإلماع إلى معرفة أصول الرواية, و تقييد السماع***، القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠

Goldziher, I., *Muhammedanische Studien*, (Halle,1989 – 1990)
……., *Muslim Studies*, tr. Stern, (London,1971)
Juynboll, G.H.A., *The Authenticity of the Tradition Literature*, (Lieden,1969)
Rahman, F., *Islam*, (London,1966)
Robson, J., art. *" HADITH "*, EI2 , vol. iii, p. 26